خطاب صاحب الجلالة في مناظرة الجماعات المحلية

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

حضرات السادة

انني شخصيا في حيرة لأنني لم أختر لحد الآن اللغة التي سأخاطبكم بها، وذلك علما مني بأن المواضيع التي ستطرق هي مواضيع الساعة، وكنت دائما أقول وما زلت أعتقد أن مستقبل المغرب وطموحه هو الإشعاع الفكري والتعرف على المغرب علميا وأدبيا وثقافيا.

فهل لغتنا ستكفي لنشر الدعوة المتواضعة التي ستنبثق من خطابي أم من الأصلح والأليق أن أستعمل لغة أخرى ؟

ولكن مضمحنا هو أن تصبح اللغة العربية أكثر إشعاعا وأكثر رواجا في المحافل الفكرية العالية.

وبما أننا نتطرق لموضوع الديمقراطية فعلي أن أبدأ بنفسي، فبأي لغة تريدون أن أخاطبكم، العربية أم الفرنسية ؟ سأستعمل اللغتين.

إن القرن الذي نعيش فيه مليء بالمشاكل، مشاكل كان فيها آباؤنا وأجدادنا من قبل، المشاكل هي وليدة الحال، وليدة التقدم، وليدة الثقافة المعممة، وليدة الصحافة، وليدة وجود جهاز الطرانزسطور، وليدة الحدود، الحدود الجغرافية لم تبق حدودا، بل أصبحت معالم فقط حتى تعرف كل دولة أين تنتهي سيادتها وأين تبتدىء سيادة الدولة الأخرى، ومن ثمة أصبحت الحدود الجغرافية لا تقي أحداً سواء من الصواريخ أو من الطرانزسطور.

فمشاكلنا الطبيعية الأصلية القديمة من أكل وشرب وتناسل وأمن واطمئنان، عرفها آباؤنا من قديم وأجدادنا من قديم، أما مشاكل اليوم فالإختيارات والتخطيطات أصبحت وليدة أي شيء، أصبحت وليدة تعميم التعليم، وليدة ما يقرأ وما يرى، ويكون من المتناقضات أن نعطي لأبنائنا وسائل التعليم ووسائل التعبير، ونجعلهم في احتكاك مستمر مع الخارج ومع ما يبدع الخارج ومع ما يصنع الخارج من قبيح وحسن، وأن نقول لهم قفوا هنا، إياكم ثم إياكم أن تتدخلوا في شؤون قريتكم أو في شؤون بلديتكم.

ولهذه الأسباب اخترت أن أعالج بكيفية عالية وهذا في أول مهامي لأنني قانوني قبل أن أكون ملكاً، ولكن كيفما كان الحال فأنا رجل قانون ورجل القانون العام، لهذا اخترت أن أعالج بقدر المستطاع ولا سيما بالتجربة التي تمكنت من الحصول عليها من الحضانة الإدارية، لأنني أعتقد أنها جزء يندرج في جدول أعمال ندوتكم، وكيفما كانت ترجمة كلمة وصاية بالعربية الحضانة أو الوصاية، وكيفما كانت تلك الوصاية أو تلك الحضانة فهي قبل كل شيء تعبير عن الروح أو النفس أو الدافع للمشرع، وعبد ربه هذا وخادم شعبه نفسه وروحه ودافعه حين تطرق إلى صلاحية المجالس البلدية والقروية أو الجهوية، حينما تطرق لهذا الموضوع ودرسه وأعطى اختياراته واتجاهاته فهم أنه من الواجب أن يحذف من قاموسه الإداري نص الحضانة أو لفظ الوصاية أو يجد ما يقابلها لإعطائه للمجالس البلدية والقروية.

فمن جهة، هناك الوصاية، وماذا من جهة أخرى ؟ لاشيء، والنتيجة أنه يمكننا أن نجد أنفسنا أمام آلة معطلة تماما ويمكننا أن نجد أنفسنا أمام النتيجة المعاكسة لما نريد، لماذا ؟ انني أكن شخصيا للأحزاب السياسية التقدير والإحترام الكبيرين، وهي مقبولة دستوريا وفي البلاد، وأعتبرهما بطبيعة الحال — بشرط ألا تقع في قبضة إيديولوجية ونفوذ أجنبيين — أحسن مدرسة سياسية، طيب، ولكن هذه المدرسة هي مدرسة نظرية فقط، التطبيق يمارس عند ممارسة حقوق المنتخبين، فإذا ركزنا على الوصاية أو الحضانة نكون قد خنا روحنا ونفسنا، وما هو رد فعل الجماعة المنتخبة ؟ سيكون العقم وعدم الإنجاب أو التأخر في إنجاز البرامج وبالتالي الفشل، الفشل المادي والمعنوي للتجربة الديمقراطية، فأعتقد شخصيا أنه آن الأوان للجميع لا ليعتقد، بل ليومن أنه يجب علينا أن نتعايش في كل الظروف وفي كل الأحيان مع ما يسمى الدولة.

لم يعد هناك سريان توأمان بين الدولة والمواطن، ان المواطن والدولة لا يكونان حجرة متكافئة وملكية خاصة يمنع الدخول اليها، لم يعد هذا موجودا، وعندما يطلب منا جلب الماء نجد أنفسنا مضطرين لدخول المنازل، وعندما يطلب منا شق القنوات نجد أنفسنا ملزمين بالدخول إلى الملكية الخاصة، وعندما يطلب منا تعويضات عائلية نصبح ملزمين بمعرفة عدد أطفال المواطنين الشيء الذي يسبب نوعا من المضايقة، بحيث لم يبق هناك فارق بين المواطن وبين الدولة، عليهما جميعا أن ينطلقا من منطلق مسلم مسبقا أن التعايش لا أقول واجب ولكن التعايش ضروري، بل انه بدون ذلك التعايش ستتحمل الدولة من جهة والمواطنون من جهة أخرى العبء والوزر، أقول الوزر، وزر عدم التعايش، فلهذا أعتقد شخصيا ان اجتماعكم هذا سوف يكون ان شاء الله منطلقا لفلسفة جديدة حول تعايش المواطنين والدولة، ولاسيما وأن المجلس والجماعات المحلية هي المدرسة أو هي أحسن مدرسة، هي المدرسة المثلى حتى يمكننا أن نجد فيها ونأخذ منها أطر المستقبل.

ومن الأكيد أنه إذا علمنا هذه الأطر المقبلة منذ الإنطلاقة أن تكون ضد الدولة لأنها ضد الوصاية فستكون عقيمة، وبماذا سيفيدون هذا المجلس ؟ بلا شيء، وأكثر من هذا فإنهم يخلقون مدرسة للرفض، ولكنها ديمقراطية على أي حال، الرفض وسياسة الرفض يقال عنها انها غير ديمقراطية، وهذا صحيح، ولكن، إذا نحن لم ننتبه إلى شيء وهو تربية المواطن ليعرف ما عليه، ليمارس كذلك ما عليه ويعرف إمكاناته وطموحه، ويوفق بين الإمكانات والطموح والإنجاز السريع وعدم الإنجاز، والأخذ بالأمور في الوسط، إذا نحن لم نعلمه هذا بكيفية عملية في قريته وبلديته سنكون أطرا ولكنها أطر للرفض، أطر عقيمة سياسيا وديمقراطيا، معاندة لكل تعامل ديمقراطي وكل قرار جماعي.

ان المشاكل التي تعترض العالم يوميا هي المشاكل التي تواجهنا حيث يتعين التركيز عليها لأنه لا يوجد هناك مشكل لا يمر من ثلاثة مراحل وهي : المبتكر، ثم التقني، ثم التقنوقراطي، وأفرق هنا بين الرجل التقنوقراطي والرجل التقني، وإذا لم يكن هناك تعاون بين المبتكر الذي يعيش المشاكل من حوله ووسط بيئته فلن يكون هناك مبتكر يعتمد على التقني، وهذان يعطيان المشكل الحقيقي إلى التقنوقراطي، فمن المحقق أنه مهما كانت كفاءة المجلس البلدي أو الجماعة المحلية لن يتم الوصول إلى الهدف أبدا، وكما يقول المثل الإنجليزي، لن نكون قد أصبنا الهدف، وهذا ما لا نريده، سياسة المغرب الروح والنفس الدافع للمشرع

كما قلت لكم، المشرع عبد ربه الضعيف وخادمكم وخادم بلده، الدافع هو أن أعيش مطمئنا وآمناً، أموت مطمئنا على بلدي علما مني بأن المغرب يعيش وسيعيش في مدرسة التعايش، والتعايش لا يكون على مضض بل يكون على اختيار وبحرية، فاذا تعلم بلدي واذا تعلم ابنائي المغاربة، اسرتي الكبيرة، ان يعوا اولا وقبل كل اعتبار ان

التعايش لا يغرى، بل ان التعايش عليه ان يكون ذلك التعايش المثمر لا التعايش العقيم، امكننا جميعا ان نطمئن نهائيا وأبديا على مستقبل بلادنا ومستقبل أبنائنا.

وأكثر من هذا اننا لم نكن مطمئنين على مستقبل المغرب فحسب، بل ان هذا البلد الذي جعله الله في أقصى غرب افريقيا ويتوفر على منفذ يطل على البحرين ويعتبر ملتقى للحضارة، ان هذا البلد يستطيع بنمط الحياة التي يعيشها والسيرة التي ينهجها أن يستمر وأن يلعب دوره ليس فقط كنقطة التقاء، ولكن كمدرسة للمبادرة لأن المغاربة لم يترجموا فقط كتب الإغريق والرومان ونقلوا لأوروبا الطب وعلم التنجيم وغيرها، ولكن كما لاحظتم طبعوها بطابعهم الخاص، المغرب يطبع، المغرب ليس ذلك الجسر المشترك المجهول الذي يمر عليه كل أحد، لا، فالمغرب ينطبع ويطبع، فإذا تعلمنا التعايش بين الدولة وبين المواطنين، وإذا تعلم المواطنون أنفسهم التعايش بينهم سواء كانوا فرقا أو أحزابا أو هيآت، وإذا نظمنا فلسفتنا على أن في حياة القرية أو البلدة لا يجب أن يكون غالب أو مغلوب حاكم أو محكوم، ولكن يجب أن يكون الرأي بين مواطنين متساكنين، عندئذ يتمكن المغرب من الوصول إلى هدفين، العيش في السلامة والطمأنينة والتوازن والإتزان، والقيام بدور الإنعاش دور إعطاء المثل، ذلك الدور الذي كان دائما دوره عبر التاريخ وعبر القرون.

انني بهذه المناسبة ارحب بجميع الوفود التي استجابت الى استدعائنا، انني لأرجو الله سبحانه وتعالى أن تجد في مناخ مراكش مناخها الفكري ومناخها الجغرافي في تاريخها، في أصالتها في قدمها، في صوامعها فآثرها على وجوه سكانها وعلى الزرابي، زرابي طبيعتها ومناظرها الخلابة، أن يجدوا في هذا كله ما يلهمهم التوفيق والسداد والإدلاء بالآراء، لا الآراء التي لا غد لها، ولكن الآراء التي من شأنها أن تلد يوما بعد يوم مسلسلاً ديمقراطيا، لا تلك الديمقراطية العقيمة، ولكن ديموقراطية الخلق البناء والتشييد، وما هذا على تفكيركم وغيرتكم وقدرتكم بعزيز، كأن الله سبحانه وتعالى سوف يكلل أعمالكم بالنجاح وأعمالنا جميعا، لأنها منطلقة من نية التشاور، من نية تحديد الرأي المستمد من الفلسفة الإسلامية الأصيلة، والله المعين.

والسلام عليكم ورحمة الله.

ألقي بمراكش

الجمعة 18 ذي الحجة 1397 — 1 دجنبر 1977